



المنافقون

نَحْنُ نقصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ بما أُوحَيْنا إليكَ هَذا القرآن.

صدق الله العظيم

١٦

من قصص القرآن



شمس الهدى والإيمان

من قصص القرآن

المنافقون

اعداد: عبد الرؤوف دقاق
نهاد حناوي
مراجعة: محمد كمال

بعد أن ظهرت الرسالة المحمدية في أرجاء الجزيرة العربية، آمن الآلاف من الناس بالدين الإسلامي الجديد إذ دخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، وذلك لِمَا رأوا في الإسلام، هذا الدين الجديد، من العدل والمساواة والإخاء، لافرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى.

كما رأوا في الإسلام العدالة والمساواة المطلقة، فالكل في الإسلام واحد أمام تعاليم الإسلام ودستوره ومفاهيمه وتوجيهاته، والجميع سواسية[1] كأسنان المشط لا فرقَ بين غني وفقير، وصغير وكبير، وقبيلة وقبيلة، ورئيس ومرؤوس..

---

(١) سواسية : متساوون .

هكذا فقد رأى الناس في الإسلام أيضاً المحبة والعبادة الحقة لرب الكون في الأرض والسماء، الله سبحانه وتعالى...

فبعد أن كان العرب متفرقين مشتتين[1] متخلفين جاء الإسلام ووحد الكلمة ورسم الخطوط العريضة للنهضة الشاملة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية، فظهر القادة والعلماء، وتفتحت المواهب[2]، وتفتقت براعم الإبداع والتفوق، كل ذلك تحت مظلة العبادة الخالصة لوجه الله تعالى بعد أن كان العرب يعبدون مختلِفَ أنواع الأصنام التي لاتضر ولاتنفع..

وبالرغم من كل ما استطاع أن يقدمه الإسلام في أول نشأته لجميع الأفراد والقبائل، من ثمرات

---

(١) مشتت : ممزق ـ مُفرق .
(٢) المواهب: ج. موهبة: هي العبقرية والإبداع في مجال من المجالات.

يانعة[1] في الدين والدنيا والآخرة، فقد برز أعداء للإسلام، هؤلاء الذين أصيبت امتيازاتهم ومصالحهم ومناصبهم في الصميم، ففقدوا الكثير من ثرواتهم ومكانتهم[2] وتجارتهم وجشعهم المادي... لذلك كان الأعداء في حقيقة الأمر قد مَوَّهوا[3] أنفسهم في ثلاثة أقنعة، أو لنقل في ثلاثة أوجه.

فكان هؤلاء الخصوم يقاومون الإسلام بشتى الطرق والأساليب، ويكيدون للإسلام والمسلمين الجدد مختلف المكايد، وينصبون لهم مختلف المصايد، كلُّ ذلك كان حرصاً على زعاماتهم، وخوفاً على مكاناتهم...

---

(١) يانعة : ناضجة ـ لذيذة .
(٢) المكانة : المنزلة ـ المنصب .
(٣) مَوَّهَ يُمَوِّهُ تمويهاً: خدع ـ يخدع ـ خداعاً ـ غشَّ .

فهؤلاء الذين كانوا أعداء الإسلام يمكن أن نصنفهم في ثلاثة أصناف رئيسية:

١- مشركو قريش في مكة. والقبائل فيما حولها.
٢- اليهود في المدينة وخارجها.
٣- المنافقون.

أما المشركون من أهل مكة والقبائل التي حولها فقد أعلنوا كفرَهم صراحة وعدمَ إيمانهم بالإله الواحد ومعارضتهم للرسول محمد ﷺ وللإسلام والمسلمين. فهؤلاء قد أظهروا عداوتهم للإسلام والرسول صراحة وعلناً[1] - حيث أشعلوا نيران الحروب والفتن والاعتداءات في كل مكان يخص المسلمين وفي كل ما يُلحِق الأذى بالإسلام...

(١) العَلن: الجهر والوضوح، ضد السر.

أما اليهود الذين كانوا يتمركزون في المدينة وخارجها . فقد سلكوا تجاه الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ نفس سلوك وتصرفات «قريش» في مكة.

فما أن وطئت[1] قدما رسول الله المدينة المنورة حتى أخذ اليهود فيها ينفثون[2] سمومهم ضد الإسلام، حاقدين، ناقمين[3] لايبخلون بأية وسيلة شريرة، ولا يستريحون إلا إذا اعتدوا على المسلمين وألحقوا الأذى بهم .

أما الرسولُ «محمد» ﷺ حاملُ لواء الرسالة الإسلامية النبيلة فهو النبي والرسول والقائد والحاكم والزعيم...

---

(١) وطىء : داس .
(٢) نفث : نشر .
(٣) ناقم : منتقد ثائر .

فقد أصبح بين هؤلاء وهؤلاء، أي بين مشركي قريش ويهود المدينة، علاقة واضحة وضوحَ الشمس في النهار، فهؤلاء لم يخجلوا من عداواتهم ولم ينكروا مواقفهم تجاه الإسلام والمسلمين...

فقد كان الرسول ﷺ والمسلمون يحاربونهم تارةً بمختلف الوسائل وحسب الظروف لكسر شوكتهم وإضعاف قوتهم.. ويعاهدونهم تارةً أخرى طلباً للسلام ورغبة في نشر الدعوة، وذلك حسب الوحي الإلهي الذي يتنزل على قلب رسول الله ﷺ الذي يقود المسلمين إلى خير العواقب وأسلم السبل، فمن هجرة، إلى حرب، إلى معاهدة، إلى فتح عظيم...

أما النوع الثالث من أعداء الإسلام والمسلمين، فهم المنافقون.

فهؤلاء كانوا قوماً من الأنصار أبناء العمومة، منهم من كانوا في قرارة أنفسهم كفاراً ولكنهم في الظاهر أعلنوا إسلامهم وتظاهروا بالإيمان والمحبة والسلام.

فهؤلاء قد اصطنعوا الود ظاهراً بينما تغلي قلوبهم حقداً ولؤماً وعداوةً...

فهم قد زعموا أن سيوفهم مع المسلمين وأنهم خير عون ونصير عندما تدور الدوائر[1]، إلا أنهم في حقيقة الأمر كانوا يتظاهرون بالإيمان ويبطنون العداء والمكر للإسلام...

---

(١) الدوائر : ج. دائرة: المصيبة .

فانظروا إلى هذه الآية الكريمة:

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)[1]

فهؤلاء المنافقون الذين يعلنون عكس ما يضمرون[2]، تنطبق عليهم صفة الذبذبة، فهم ـ أي المنافقون ـ لاهم من هؤلاء ولاهم من هؤلاء أي ليسوا كفاراً صراحة، ولم يكونوا مؤمنين مسلمين صراحة، لذلك كانوا أشدَّ ضرراً وأبلغ أذى للرسول ﷺ والإسلام والمسلمين...

وظل هؤلاء المنافقون يقضُّون مضجع المسلمين، إذ كانوا شوكة في جنب الإسلام، وقذى في عيون

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤).
(٢) أضمر : اخفى.

المسلمين، والشغلَ الشاغلَ للرسول محمد ﷺ الذي كان لايغفل عن سلوك هؤلاء المنافقين وتصرفاتهم.

تحلى رسول الله ﷺ بالصبر والحكمة وأخذ يعاملهم بالرفق واللين...

فالله سبحانه وتعالى لاتخفى عليه خافية، ولابد أن يوجد حلاً لهؤلاء، فالله يُمهِل ولا يُهمِل...

وهكذا كان يوم «بني المصطلق» وقصة نبع ماء «المُرَيْسيع[1]» فقد هتك[2] الله أسرارهم وكشف حقيقتهم الزائفة[3]...

فبعد أن انتهى الرسول ﷺ من أمر «بني المصطلق» أتت امرأةٌ من نساء العرب تطلب السقاية

(١) المريسيع : نبع بني خزاعة
(٢) هتكَ : فضحَ ـ مزّق .
(٣) الزائف : المزور ـ غير حقيقي .

من هذا النبع، نبع «المريسيع» فكان الشاربون مكتظين[1] مزدحمين حول هذا النبع، فتدافع الناسُ والدوابُّ والإبلُ فحدث هَرْج ومَرْج، وضاق المكان وما حوله بالناس الطالبين للماء...

فقد تلاقى عند النبع هذا «جهجاه بن مسعود الغفاري» أجير «عمر بن الخطاب» وكان يقود فرسه و«سنان بن مسعود الجهني» وهو الحليف لبني عوف من قبيلة الخزرج، إذ وقع بينهما الشجار، مما سبب الشر والبغضاء...

فقد نادى «الجهني» يا للأنصارً طالباً العون والمساعدة من أبناء قبيلته... ونادى «الغفاري» أيضاً: يا للمهاجرينً طالباً التأييد والنصرة من أفراد قبيلته أيضاً.

---

(١) اكتظ : ازدحم .

فبنداء هذين الشخصين لأبناء قبيلة كل منهما استعر الشجار الذي كان امتداداً للعصبية القبلية السائدة[1] في العصر الجاهلي، أي قبل مجيء الإسلام، فالإسلام أتى ليقضي من جملة ما يقضي على هذه العادات العصبية القبلية، والتي كانت تتبع قانون: «نصرة القبيلة على الحق والباطل» .

فاثنان تشاجرا واقتتلا، فما شأن هؤلاء وهؤلاء أي ما شأن المهاجرين؟ وما شأن الأنصار؟... فقد أصبحوا بنعمة الله إخواناً...

ولكن سرعان ماوجدت هذه الحالة رواجاً عند المنافقين، وتهليلاً وترحيباً عند الصائدين في الماء العكر.. فقد كان زعيمُ المنافقين «عبد الله بن أبيٍّ ابن سَلول»، قد سمع بالحادثة حول النبع فسرَّه هذا

---

(١) السائدة : المعروفة

النبأ واغتنم تلك الحادثة البسيطة ليجعلها حرباً ضروساً[١] إن استطاع...

فجمع مؤيديه، وبث سمومه[٢] وحرضهم[٣] على الفتنة والقتال، إلا أن «زيد بن أرقم» هذا الفتى المؤمن المسلم، كان شديد المحبة للرسول ﷺ والمسلمين، شديد الغيرة، حريصاً على وحدة الكلمة واستتباب[٤] السلام بين الجميع.

فوقف معارضاً زعيم المنافقين، وقف بوجهه وانطلق بالسرعة القصوى[٥] إلى رسول الله ﷺ وأبلغه من أمر ما حدث، فاستدعى الرسول ﷺ زعيم المنافقين وطلب منه توضيح ما سمع عنه، فأنكر كل شيء من غير خجل ولا استحياء، حتى إنه اتهم «زيداً» بالكذب.

---

(١) الحرب الضروس : الحرب الشديدة القاسية .
(٢) بثَّ : نَشَرَ ـ أذاعَ .
(٣) حَرَّض : أثارَ ـ أذاعَ .
(٤) استتباب : تثبيت ـ توطيد .
(٥) القصوى : الكبيرة ـ أكثر مايمكن .

وكان «عمر بن الخطاب» في المجلس فقال لرسول الله ﷺ : مُر بقتله، فابتسم الرسول ﷺ وقال لعمر: كيف يا عمر إذا تحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن أذِّن بالرحيل. وفي الطريق لقي الرسول ﷺ «أسيد بن الحضير» فالتمس من الرسول ﷺ الرفق بزعيم المنافقين والعفو عنه، ومضى الرسول ﷺ في سيره حتى انتهى إلى المدينة.

ونزل الوحي على قلب الرسول ﷺ بهذه الآيات:

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون* اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون*﴾[1]

(١) سورة المنافقون الآية (١ - ٢).

فتلاها رسول الله ﷺ بين المسلمين، ثم طلب من «زيد» الاقتراب منه وفرك أذنه وقال له: لقد وَفَت أذنك[1] يا غلام، إن الله قد صدّقك وكذّب المنافقين.

أما زعيم المنافقين فقد اعترضه ابنه خارج المدينة وهو شديد الإسلام ومنعه من دخول المدينة، إلا أن رسول الله ﷺ أمر بإطلاق سراحه لعله يترك النفاق ويتوب إلى أمر الله .

(١) وفت أذنك : طالت .



من قصص القرآن

من قصص القرآن رحلة في عالم الأدب الجذاب ..

تتعانق فيها الفكرة بالخيال، وتنبض بالحيوية والحياة في إطار فني يموج بالحركة وصدق التعبير.

وتعتبر المجموعة بحق شمساً من الهدى والإيمان وحريٌّ بكل فتى وفتاة أن يتفيأ ظلال هذه الشمس وأن يُضيف هذه المجموعة القصصية إلى مكتبة الأسرة، لأن فيها من الحكمة الرائعة والمغزى الجميل، والفائدة المرتجاة، ما يجعلها ثروةً فنيّةً قيّمة.

